

المدرسة التاريخية الاندلسية: تطورها، روادها، تأثيرها Andalusian Historical School: Its development, pioneers and impact

جفال عمر

جامعة عمار ثليجي الأغواط djefalomar@gmail.com

تاريخ النشر: 2021 /01/05

تاريخ القبول: 2020/09/16

تاريخ الاستلام: 2020 /08/19

الملخص

شاع تأليف التاريخ في الأندلس واحتل المرتبة الثانية بعد التأليف في العلوم الدينية . و نال العناية والاهتمام وأصبحت الدراسات التاريخية ثمرة ناضجة وموضع الدرس والإقبال من طلاب في مختلف جوانبه مما أدى إلى تشكل مدرسة تاريخية أندلسية . في هذا البحث سنحاول إبراز مكانة ودور هذه المدرسة في الكتابة التاريخية . والرد على القائمين عنها بأنها مجرد امتداد للمدارس التاريخية المشرقية . ولإظهار ذلك سنحاول الإجابة على إشكالية دور وتأثير هذه المدرسة على الكتابة التاريخية في العالم . ولإحاطة بجوانب الموضوع فرعنا الإشكالية إلى إشكاليات فرعية على النحو التالي ظروف ظهور هذه المدرسة ومسار تطورها و روادها و الخصائص التي تميزت بها و تأثيراتها على تطور الكتابة التاريخية .

كلمات مفتاحية: الأندلس ، المدارس التاريخية ، ابن حزم ، الكتابة التاريخية ، المخطوطات

Abstract:

historical writing became popular in Andalusia and occupied the second place after the Writing of Religious Sciences, historical studies became a ripe fruit, the subject of study, and the acceptance of students in its various aspects, which led to the formation of a historical Andalusian school. In this study, we will try to highlight the position and role of this school in historical writing, and respond to those who say that it is only an extension of the Levantine historical schools. To show this, we will try to respond to the role and influence of this school on historical writing in the world. In order to understand the aspects of the subject, we have presented sub-issues, as follows: the circumstances of the emergence of this school, its development path, its pioneers, the characteristics that distinguish it and its effects on the development of the school. 'historical writing

Keywords : Andalus; Historical schools; Historical writing; Manuscripts; Ibn Hazm.

مقدمة

إنّ مسألة تحديد البدء الفعلي لكتابة التاريخ الأندلسي - فيما يبدو - غير واضحة بدقّة نظراً لعدم إفصاح المصادر الأندلسية عنها، فليس لدينا ما يدل على أنّ أحداً من أهل الأندلس كتب في التاريخ الأندلسي أو في غيره قبل عبد الملك بن حبيب (174 - 238 هـ / 790 - 853 م)، فأغلب المصادر المؤلّفة خلال عصري الإمارة والخلافة فقدت باستثناء القلّة القليلة من الكتب، من أهمّها: كتاب أخبار مجموعة لمجهول، كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، وأقدم كتاب تاريخ في الأندلس هو كتاب التاريخ المنسوب لعبد الملك بن حبيب، ما جعل بعض الكتاب المشاركين يقولون بتأخر الكتابة التاريخية في الأندلس، وهذا طبعاً لا أساس له من الصّحة، فمن السهل على متتبع تاريخ بلاد الغرب الإسلامي أن يرد على ذلك بالقول أنّ فقدان المدوّنات التاريخية بسبب الصّراع السّياسي والمذهبي؛ كالصّراع بين المالكية والأحناف، وبين السّنة والشيعة، وبينهما وبين الخوارج، الذي أدّى إلى إحراق كل فئة لكتب خصومها. فترتب عن ذلك فقدان الكثير من الكتب منها كتب التاريخ. حتّى نفهم الكتابة التاريخية في الأندلس ومدارسها ارتأينا أن نقسم هذه المداخل إلى ثلاث أقسام.. القسم الأوّل القينا الضوء فيه على الأوضاع السياسية في الأندلس منذ دخول المسلمين إليها إلى غاية سقوط غرناطة، بينما خصّصنا القسم الثّاني للكتابة التاريخية في الأندلس وأبرز مؤرخيها، أمّا القسم الثّالث تكلمنا فيه عن خصائص المنهج التاريخي في بلاد الأندلس والفروقات التي بينه وبين منهاج المشاركة.

1. الأوضاع السياسية في الأندلس

اختلفت الأوضاع السياسية في الأندلس طوال حكم المسلمين لها، وقد قسّمها المؤرخون إلى فترات تستند إلى طبيعة الحكم الذي كان سائداً فيها، فجاء التّقسيم على الشّكل التّالي:

1.1. عصر الولاة (97 هـ / 716م - 138 هـ / 755 م):¹

دام حوالي أربعين عاما وتعاقب على حكمها عشرون واليا، بدأ بمقتل والي "عبد العزيز بن موسى بن نصير" وانتهى بمجيء "عبد الرحمن الداخل". تميّزت هذه الفترة بكثرة الاضطرابات والفوضى بين الفاتحين ضد بعضهم البعض أو بين الفاتحين والممالك المسيحية.

2.1. العهد الأموي (138 هـ - 399 هـ / 756 م - 1031 م):

قسّمه المؤرّخون إلى فترتين:

-عصر الإمارة (138 هـ - 316 هـ / 756 م - 929 م): بعد سقوط الدولة الأموية سنة 132 هـ استطاع

"عبد الرحمن بن معاوية المعروف بصقر قريش" الفرار إلى الأندلس، وتمكّن في فترة وجيزة من القضاء على الفتن والاضطرابات السائدة، وتأسيس دولة مستقلة عن الخلافة العباسية ببغداد عاصمتها قرطبة.

-عصر الخلافة: بعد وفاة صقر قريش أعلن خليفته "عبد الرحمن الناصر لدين الله" نفسه كخليفة للمسلمين بالأندلس سنة 316 هـ / 929 م، فأصبحت للخلافة ثلاث نظم من العالم الإسلامي هي: الخلافة العباسية، الخلافة الفاطمية والخلافة الأندلسية. استمرت الخلافة الأموية في الأندلس تجمع بين السلطتين الزمنية والروحية، إلى أن جاء "الحاجب المنصور ابن أبي عامر" وأولاده من بعده، فانتزعوا منها السلطة الزمنية اعتباراً من عام (366 هـ - 976 م)، واستمروا في الحكم إلى سنة (399 هـ - 1009 م) وسميت هذه الفترة بفترة الحجابة . بنهاية هذه الأخيرة دخلت الأندلس في مرحلة من الاضطرابات والفتن تميّزت بتصارع عناصر المجتمع الأندلسي من أمازيغ وصقالبة وأهل قرطبة، وحكمها عدّة خلفاء ضعفاء واستمر الحال على هذه الوضعية إلى غاية عام (422 هـ - 1031 م).

3.1 ملوك الطوائف (422 هـ - 479 هـ / 1031 م - 1077 م)

عزل "هشام الثالث المعتد بالله" كآخر الخلفاء الأمويين سنة (422 هـ - 1031 م)، فسقط بذلك الحكم الأموي بالأندلس، وأعلن الوزير "أبو الحزم بن جهور" إلغاء الخلافة وأصبح الأمر شورى، فظهرت حكومة الجماعة في قرطبة وظهرت 22 دويلة للطوائف في سائر أنحاء الأندلس، وإن كانت هذه الدويلات ورثت الثراء الثقافي والعلمي للخلافة الأموية، إلا أنّ عدم استقرار الحكم فيها وتناحرها فيما بينها وتربص مسيحي الشمال بها جعلهم في الأخير فريسة سهلة للإسبان، حيث شهدت الأندلس حركة استرداد كبيرة، مكّنت الملك "فرديناند الأول" من الاستيلاء على العديد من المدن الإسلامية، منها مدينة طليطلة عام 1085

4.1 عهد المرابطين

تدخل المرابطون لحماية المسلمين بالأندلس، واستطاعوا وقف الخطر الإسباني مؤقتاً خاصة بعد معركة الزلاقة عام 479 هـ / 1076 التي أنقذت الأندلس من السقوط المحقق، كما استطاعوا القضاء على الحكم، لكن حكم المرابطين للأندلس لم يدم طويلاً.

1.5 عهد الموحدين

بعد تساقط المرابطين في المغرب أمام الموحدين، تبعهم الموحدون إلى الأندلس، واستولوا على المدن الأندلسية التي كانت في يد المرابطين، وما إن حلت سنة 555 هـ حتى دانت الأندلس للموحدين وحكموها عن طريق ولادة تابعين لهم وظل الحكم لهم إلى أن انتهى بعد هزيمة موقعة "العقاب" عام 1212 ميلادية (609 للهجرة). بعد معركة العقاب بدأ مصير الأندلس يهتز بيد القدر، وأخذت قواعد الأندلس تسقط في يد الإسبان ولم تكد تأت سنة 644 هـ حتى سقطت دولة قرطبة وبلنسية ودانية ومرسية في أيديهم.

1.6 مملكة غرناطة

حكمتها الأسرة النصرية بالوراثة، فقد أعلن أمراء هذه الأسرة ولاءهم للخلافة العباسية حيناً ولملوك بلاد عدوة المغرب حيناً آخر، ولقب أمراءهم بلقب السلطان وأمير المسلمين، مع العلم أنّ ألقاباً أخرى غلبت على البعض الآخر كالمخلوع والزغل والزغب، وعرف بعض سلاطينهم بالقوة ووقع البعض الآخر تحت سيطرة الوزراء، وسقطت غرناطة بتوقيع آخر ملوكها "أبي عبد الله الصغير" معاهدة استسلام مع الملكين الكاثوليكين فرديناند وإيزابيلا، وانتهت بذلك الخلافة الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية.

2. الكتابة التاريخية في الأندلس

كانت الأندلس في بداية عهد الولاة تعيش في حالة من الجهاد والفتوح، ثم تحولت في نهايته إلى صراعات وحروب بين المسلمين ممّ لم يشجع على ظهور الكتابة التاريخية فضلاً عن بقية العلوم، كما أنّ البلاد كانت حديثة العهد بالإسلام ولم تستوي الثقافة الإسلامية فيها بعد.² لهذا فإنّ البداية الأولى لتدوين تاريخ الأندلس كانت ببلاد المشرق خاصة في مصر، وكان عبارة عن مرويّات شفوية ساهم في نشرها الفقهاء الذين زاروا الأندلس لنشر العلم، من بينهم "معاوية بن صالح الحضرمي وعثمان بن إبراهيم بن إبان"،³ وعن طريقهم وآخرون معهم من الإخباريين انتشر ما يعرف بالخبر التاريخي، وتراكمت المعارف التاريخية وبرزت المحاولات الأولى

لتدوين تاريخ الأندلس⁴

2.1 الكتابة التاريخية خلال العهد الأموي

استقرت الأحوال السياسية في بلاد الأندلس و شهدت الأوضاع الثقافية تطورات كبيرة، منها تطوّر اللغة العربية التي أصبحت لغة الثقافة والعلم، وبدأ العلماء والأدباء والفقهاء في الظهور،⁵ وتشير المصادر إلى مدى شغف الأندلسيين و اهتمامهم بالتواحي العلمية، وكونهم أولوا عناية كبيرة لمختلف العلوم ومن ضمنها علم التاريخ،⁶ وبدأ الطلبة يقومون برحلات نحو بلاد المشرق طلباً للعلم متوجّهين للمشرق وخاصة إلى مصر. قاد انشغال الفقهاء بالحديث والفقهاء⁷ إلى ترجمة رجال الحديث ثم إلى ترجمة رجال العلم والأدب؛ أي أنّ الكتابة التاريخية بالأندلس قد تأثرت بمنهج علماء الحديث وعلماء الفقه، إذ عوّلوا على الإسناد شأنهم شأن المشاركة،⁸ ومن هنا ظهر مؤرخي الأندلس الأوائل من الفقهاء والمحدثين،⁹ أي أنّ العناية بالتاريخ كانت مرحلة تطورية جاءت ممتزجة كبداية بعلوم الشريعة خاصة الحديث النبوي الشريف، وما يمكن ملاحظته في بداية فترة الكتابة التاريخية أنّها كانت تمزج الحقيقة بالخيال والخرافات واعتمادها على الرواية الشفهية، وتسودها المبالغة والأساطير، وكانت كتب التاريخ تشمل مختلف المواضيع التاريخية ولم تقتصر على موضوع واحد، وبذلك يمكن القول أنّه مع بداية التدوين المتراخي ولدت كافة فروع وأشكال الكتابة التاريخية الأندلسية.¹⁰

أول من ألف في التاريخ في هذه الفترة "عبد الملك بن حبيب" الذي ولد تقريباً في عام (179هـ/796) وتوفي تقريباً عام 238هـ/853م، وهو أحد المؤرخين الموسوعيين الكبار وأحد الفقهاء الذين تميّزوا بإنتاجهم الموسوعي، كما ساهم بشكل لافت في الاهتمام بعلم التاريخ في الأندلس، وله كتاب موسوعي باسم التاريخ وهو كتاب ما يزال مخطوطاً في المكتبة البودلية في إسكفورد، وعنوانه كما يرد في هذه المخطوطة هو "كتاب في ابتداء خلق الدنيا"، تحدّث فيه عن خلق الله من بداية خلق السماوات وخلق البحار والجبال والجنة والنار، وخلق آدم وحواء وما كان من شأنهما مع إبليس، وذكر الأنبياء على الترتيب وصولاً إلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين، كما أنّه ذكر الكتب المنزلة والخلفاء إلى غاية فتح الأندلس، وما وجد فيها من الذهب والفضة والجواهر والياقوت والزمرد والأمتعة وما أخرج منها، وذكر ملوكها ومَن ولّاتها ومَن يليها وذكر شيء من الحدّثان وما يعلم منها في بعض البلدان، وكم عمر الدنيا وما مضى منها وما بقي إلى أن تقوم الساعة. وحسب المستشرق الإسباني "أنخل جنثالث بالنثيا" فإنّ المخطوط يحتوي في صفحته الأولى بياناً بمحتويات الكتاب، بعدها يبدأ بالكلام على بداية خلق الدنيا، وعن أول ما بدأ الله به خلقه من السماوات

والبهار والجبال والجنة والنار وآدم وحواء ما جرى بينهما وبين إبليس، بعدها قصّ سير الأنبياء حتّى وصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وتكلّم عن الكتب المنزّلة، وعن سير الخلفاء حتّى فتح الأندلس، بعد ذلك حدّثنا عمّا يوجد بالأندلس من الذهب والفضة والآلئ والياقوت والزمرد وما إلى ذلك من الخيرات وعيون الثروة، ثمّ سير من حكمها من الملوك ومن غزاها من الفاتحين، وما تواتر على ألسنة الناس من الأخبار والأساطير عن كل ناحية من نواحيها. كما تحدّث عما قدّر الله في علمه لهذه الدنيا من العمر وما مرّ منه وما بقي حتى قيام الساعة، وفي آخر الكتاب فصول عن الفقه والأخلاق والآداب وطائفة من الأشعار، وختم كتابه بالكلام عن قضاة الأندلس.

يبدو أنّ ابن الحبيب نفسه لم يكتب الكتاب، أو لم يكتب جزءاً منه على أية حال؛ لأنّ سلسلة من أمراء الأندلس المسلمين فيه تصل إلى الأمير عبد الله أي إلى سنة 888/274م. وتوفي ابن الحبيب قبل ذلك بخمس وثلاثين سنة، والظاهر أنّ الدّي كتب الكتاب في صورته الحالية هو "ابن أبي الرّفاع". وكان تلميذاً لعبد الملك يقيد سماعه، ثمّ أكمله وأضاف إليه أشياء من عنده. وعلى الرغم من قدم هذا الكتاب، إلّا أنّ قيمته التاريخية ضئيلة، ورواياته عن افتتاح الأندلس تطغى عليها الأساطير؛ حتّى تبدو كقصّة من قصص ألف ليلة.. فيذكر لنا ما رآه طارق في نومه من الرؤى وحملته على بلاد تيميد، ويطنل في وصف حصار المسلمين لمواقع يعمرها الجن ويقومون بالدفاع عنها، ويذكر الشياطين الذين حبسهم سليمان في قماقم النحاس، ويطنل الحديث عن الكنوز التي كانت في قصر طليطلة، ويطنب في ذكر مائدة سليمان وأساطير أخرى كثيرة يُدرجها في حديثه على أنّها تاريخ. وحسب المستشرق "دوزي" فإنّ ابن حبيب أخذها عن شيوخه من المصريين، وابن حبيب نفسه يؤكّد ذلك في أكثر من موضع في كتابه.¹¹

بعد عبد الملك بن حبيب ظهر مجموعة من الدّين كتبوا في التاريخ منهم "عقير بن مسعود بن عقري، طاهر بن عبد العزيز العريني، فرج بن سلام وغيرهم"، كما ساهم الأدباء والشعراء في نشأة التدوين التاريخي، حيث كتب بعض الشعراء ما يعرف بالأراجيز كان من بينهم "يحيى الغزال" المتوفى 250هـ/864م والشاعر "تمام بن علقمة" المتوفى 283هـ/897م.¹²

تعتبر النماذج المذكورة المحاولات الأولى للكتابة التاريخية بالأندلس، التي كان لها الفضل في إرساء مدرسة التدوين التاريخي الأندلسي.¹³ ازداد الازدهار الثقافي في الأندلس وبدأت البلاد تشهد حركة ثقافية مثمرة

وناضجة، وبدأت نخبة من المؤرخين الأندلسيين في البروز، أخذوا على عاتقهم كتابة تاريخ الأندلس وإنهاء فترة الوصاية المصري لذلك.. كان من بينهم:¹⁴

-آل الرازي وهم ثلاثة: المؤرخ محمد الرازي: مشرفي قدم من بلاد الشرق الإسلامي واستوطن الأندلس 249هـ - 864م، ونال مكانة عند الأمير "محمد بن عبد الرحمن"، من مؤلفاته التاريخية "كتاب الرايات الذي وصف فيه فتح المسلمين للأندلس، وآخر في صفة قرطبة تحدّث فيه عن خطط المدينة ومنازل عظمائها، وكتاب آخر بعنوان مسالك الأندلس ومراسيها وأمّهات أعيان مدا وأجنادها الستة، وكتاب آخر بعنوان أعيان الموالي إلى جنب موسوعة من خمس مجلدات بعنوان كتاب الاستيعاب في مشاهير أهل الأندلس".¹⁵ جاء بعده ابنه "أحمد بن محمد المتوفى" سنة 324هـ - 936م، كتب كتابًا ضخمًا عنوانه "أخبار ملوك الأندلس وخدمهم وغزواتهم ونكباتهم"، أما كتبه الأخرى فقد ، ثم خلفه ابنه "عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي"، فكان ثالث ثلاثة من مؤرخي هذه الأسرة.¹⁶

-أبو بكر بن القوطية (توفي سنة 367هـ = 977م): أهم مؤرخي الأندلس الأوائل، كتابه "تاريخ افتتاح الأندلس" من أهم المصادر الأولية التي لا يستغني عنها باحث في بابه، كونه يقدّم صورة واضحة لواقع هذه البلاد من الفتح العربي حتّى نهاية إمارة عبد الله بن محمد سنة (299هـ = 912م). وقد جاء على شكل مجموعة من الأخبار القصار المنفصل بعضها عن بعض، التي تفتقد للتواريخ وحسب المحققين فالكتاب ليس من تأليف ابن القوطية، بل من أحد تلاميذه، بدليل تكرار عبارة "قال شيخنا أبو بكر"، "قال ابن القوطية"، وكان يمليه من صدره غالبًا.¹⁷ ورغم أنّه لم يصلنا إلا كتابه السابق الذكر فقد أثنى عليه المستشرق "ريبيرا" وقال فيه بأنّه رغم كثرة علمه إلا أنّه كان سمّاغًا أكثر منه كاتبًا.

-عريب بن سعد المتوفى سنة 369هـ - 980م: إسباني من أصل نصراني، اعتنق أجداده الإسلام واستعربوا، كان في الأصل طبيب من أهل قرطبة و نال مكانة عند الحكم المستنصر، كان محبًا للتأليف فكتب في التاريخ ومن أهم مؤلفاته التاريخية «صلة تاريخ الطبري»، والكتاب موجود في مكتبة الأسكوريال.¹⁸

-أبو عامر بن شهيد المتوفى سنة 392هـ - 1002م: كان تلميذ "القاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة"، كتب في التاريخ كتاب بشكل حولي، روى فيه الحوادث سنة بسنة، ابتداءً الكتاب من سنة 40هـ حتى عصره الذي عاشه¹⁹

-الأخبار المجموعة: هي مجموعة روايات وأخبار عن تاريخ الأندلس حتى خلافة "عبد الرحمن الناصر"، نشرها وترجمها "لافونتي ألكانتارا" سنة 1867م، ويرى المستشرق "رييرا" أنها مجموعة مذكرات وفقرات سجلها صاحبها دون قصد منه، ربط حوادث المجموعة وربّنها حسب السنين وبالأسلوب الحولي.

2.2 الكتابة التاريخية خلال عهد الحجابة العامرية

كان من أبرز المؤرخين في عهد الحجابة العامرية "عبد الرحمان بن محمد" (ت423هـ-1057م) صاحب كتاب "الدولة العامرية"، وحسين بن العاصم (ت449هـ/1057م) مؤلف كتاب "المآثر العامرية" الذي تناول فيه سيرة "المنصور بن أبي عامر" وغزواته وأوقاتها.²⁰

يعتبر مؤرخو هذه الفترة واضعي أساس علم التاريخ في الأندلس، وأصبحت جهودهم الركيزة الأولى والأساس الذي انطلقت منه الدراسات التاريخية اللاحقة، لذا.. فإنّ الظهور الحقيقي والواضح لحركة التدوين الأندلسية عرف إبان تلك الفترة من القرن الرابع الهجري.²¹ كما شهدت هذه الفترة حركة لترجمة الكتب التاريخية اللاتينية، فترجم كتاب لهروشيّش²² للغة العربية من طرف كل من "قاضي النصارى، ترجمانهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ شيخ العصر"، وكان لهذا الكتاب دور في إغناء معارف المسلمين بالكثير عن تاريخ وجغرافيا شبه الجزيرة الإيبيرية.²³ ويرى "حسن مؤنس" أنّ "أحمد الرازي" استفاد من هذه الترجمة في وضع مقدمة جغرافية لمؤلفه كما فعل "هروشيّش"، وسار من بعده الكثير من مؤرخي الأندلس على هذه القاعدة، حيث كانوا يبدؤون مؤلفاتهم التاريخية بالوصف الجغرافي للبلد قبل ذكر الوقائع،²⁴ كما ترجم كتاب "اللسان" لأزيدور الإشبيلي (Etymologiae) (Isidore de Seville) الذي تناول فيه تاريخ القوط والوندال.²⁵

2.3 الكتابة التاريخية خلال عصر ملوك الطوائف

بعد سقوط الخلافة الأموية ودخول الأندلس فترة عصر ملوك الطوائف، ظهرت مدن جديدة منافسة لقرطبة مثل: "أشبيلية، دانية، بلنسية، مرسية، بطليوس، سرقسطة وطليطلة"، وشهدت المعرفة التاريخية في هذه الفترة تطوّراً من ناحية الموضوع والمنهج؛ حيث أصبحت الوثائق والمشاهدات الميدانية للمؤرخين من أهم مصادر كتابة التاريخ، كما اتسعت موضوعاتها متجاوزة الجوانب السياسية والعسكرية إلى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعقائد، وهذا ناتج عن التراكم المعرفي للقرون السابقة، بحيث ساهم كبار مؤرخيه أمثال "ابن حيان، ابن حزم وتلميذه الحميدي وصاعد الطليطلي" في تطوير موضوعات علم التاريخ التقليدية باستحداثات جديدة،²⁶ كما أنّ هذه الفترة شهدت ابتعاد نخبة من المؤرخين عن بلاطات الملوك مثل: "بن حيان، عبد الله

بن بلكين، ابن حزم، الحميدي وابن البر، وضمت كتبهم وصفا للحقائق كما هي ونقد ما يجب نقده بهدف الوصول إلى التعبير عن الحقيقة كما هي.²⁷

من أهم مؤرخي هذا العصر "أبي مروان حيان القرطبي" (ت469هـ-1077م)، له كتاب بعنوان "المقتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس" وكتاب "المتين"، و"محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي" (488/1095) تلميذ بن حيان، من مؤلفاته "جذوة المقتبس في ذكر ولادة الأندلس" عنى فيه بترجمة كثير من العلماء، و"أبو حسن علي بن بسام الشنتريني" (ت542هـ/1148م)، والمؤرخ "فتح بن خاقان" (529-1134) له كتاب "فلائد العقيان"، وأمير غرناطة "عبد الله بن بلك" صاحب مذكرات الأمير "عبد الله بن بلك" أو ما يسمى التبيان.

لعل أشهر مؤرخي هذه الفترة هو "ابن حزم"،²⁸ الذي أسس مدرسة تاريخية تعتمد على المنطق الذي يقدر البحث عن الحق بدليله، ويمتنع عن القبول بأي معلومة إلا إذا كانت مستندة إلى برهان يثبتها، وإلا فهي لاغية مطروحة مهما كان قائلها، كما يرفض الالتزام بمذهب معين. كان "ابن حزم" يرى في التاريخ نافذة للاطلاع على فناء الممالك وخراب البلدان المعمورة وذهاب الملوك الذين قتلوا النفوس وظلموا الناس واستكثروا الأموال، ومعرفة اختلاف أديانهم ومذاهبهم والاطلاع على آثار المفسدين في الأرض وسوء أثرهم.²⁹

أثرى ابن حزم المكتبة التاريخية بعدة مؤلفات.. من أشهرها:

- الفصل في الملوك والأهواء والتحل؛ وحضي هذا الكتاب باهتمام معظم العلماء المسلمين الذين قدموا من بعده، وعلى رأسهم "الشهرستاني" ت. 547هـ صاحب كتاب "الملل والنحل"، و"الفخر الرازي" ت. 606هـ صاحب كتاب "اعتقادات فرق المسلمين والمشركين".
- طوق الحمامة.
- جمهرة أنساب العرب.
- نَقَطُ العروس.
- رسالة في بيان فضل الأندلس وذكر علمائه.
- الإمامة والخلافة
- الأخلاق والسير في مداواة النفوس والمحلى بالآثار.
- الإحكام في أصول الأحكام.

ظهر لابن حزم العديد من الطلبة الذين ساروا على نهجه وألفوا كتباً، منهم "صاعد الأندلسي" (ت462هـ/1069م)، الذي ألف كتاب طبقات الأمم و"الحميدي" (ت488هـ/1095).

3. معالم منهج التأليف التاريخي عند ابن حزم:

يمكن تحديد ذلك من خلال النقاط التالية:

- فقد أورد في كتابه "الفصل" ما يعدّ ملامح رئيسية لمدرسة النقد التاريخي، والتي ستصل إلى أوجها فيما بعد في كتاب تاريخ ابن خلدون.
- كتابه "جمهرة أنساب العرب" ساعد ابن خلدون في صياغة نظرياته المهمة عن العصبية الاجتماعية وعلم العمران والاجتماع البشري.
- كتابات ابن حزم عن الأديان والفرق والمذاهب قد أحدثت ثورة علمية، حيث يعتبر ابن حزم أول العلماء المسلمين الذي تكلم في تحريف الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية، وبين مواضع التناقض فيها.
- ساهم المذهب الظاهري³⁰ في تطوير الفكر التاريخي الأندلسي من خلال الموضوعات المستحدثة والعقلانية التي اتبعوها في تحقيقاتهم وتفسيراتهم وتأويلاتهم.³¹
- اهتم ابن حزم بالتاريخ وصنّفه ضمن العلوم الثلاث التي تتميز بها كل أمة عن الأمم الأخرى، ووضعه في المرتبة الثانية بعد الشريعة ويأتي بعده علم اللغة، وكان منهجه في التاريخ يقوم على قول الحق والابتعاد عن الكذب وتزييف الحقائق خدمة للأهواء، وذلك من أجل الوقوف على العبرة والموضوعة الموجودة في التاريخ.
- ساهمت مدرسة ابن حزم في تطوير موضوعات علم التاريخ التقليدية، واستحدثت موضوعات جديدة كما اعتمدت الدراية إلى جانب الرواية.
- نقل ابن حزم التاريخ من مجرد رواية للخبر إلى النقد المعتمد على أصول عقلية ومنطقية مبينا ما في التاريخ من أساطير وخرافات وروايات كاذبة.
- قام ابن حزم على توسعة مفهوم التاريخ ليشمل علم النسب؛ والذي عان تجاهلاً كبيراً قبله حتى قال عنه البعض: "علم لا ينفع، وجهل لا يضر"، فبين ابن حزم خطر هذه المقولة، ووضّح أهمية هذا العلم بأنّ الجهل به قد يؤدي إلى التّكاح المُحرّم، أو فقدان الحق في الميراث وعدم معرفة الشخص المستحق للخلافة، كما قام ابن حزم بتطبيق دعوته عملياً عندما شرع في تصنيف جمهرته ذاكراً فيها مقداراً من الأنساب، وقد لقيت

هذه الدعوة قبولاً لدى معظم مؤرخي الأندلس الذين اعتمدوا على الجمهرة في تدوين الأنساب الخاصة بموضوعاتهم.³²

- يعد ابن حزم من مؤسسي فلسفة التاريخ والأسبق لابن خلدون (وإن كان الأخير نال شهرة أكثر من الأول في التأسيس لفلسفة التاريخ إلا أنه كان تابعاً له) وذلك للأسباب الآتية:

- أولاً: استناد ابن خلدون على ابن حزم في أكثر من موضع في كتابه "العبر" وترجيحه لآرائه.³³
- ثانياً: مناقشة ابن خلدون بعض القضايا التي ناقشها ابن حزم سالكا في تحليلها نفس أسلوبه، مثل مسألة جيوش بني إسرائيل وعدد من يطبق حمل السلاح في عهد موسى عليه السلام.³⁴

الخاتمة

أفاد ابن حزم من ثقافته الموسوعية عموماً ومن دراسته لتجديد الفقه الظاهري في تكوين مدرسة تاريخية أندلسية متميزة، من أعلامها "ابن عامر، صاعد الأندلسي والحميدي" الذين ساهموا في تطوير الفكر التاريخي الأندلسي موضوعاً ومنهجاً، غاية ومقصداً، منظوراً ورؤية من حيث موضوع التاريخ، يعزي إلى هذه المدرسة فضل تطوير الموضوعات التقليدية وابتداع موضوعات جديدة طعمت سابقتها بمباحث في الاثنوغرافيا و السياسة والدين، فضلاً عن علم الكلام والفلسفة، ومن حيث المنهج.. جمعت هذه المدرسة بين الرواية والدراية والرأي بوجه خاص.³⁵

الهوامش

- 1 - تمثل سنة 97 هـ مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بينما تمثل سنة 138 هـ مجيء عبد الرحمن الداخل للأندلس
- 2 - أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوزان ، التدوين التاريخي في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي ، قسم التاريخ والحضارة (1425هـ / 1426هـ) ، ص91
- 3 - نفس المرجع ، ص 117.
- 4 - عبد القادر رباح ، مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية ، ما بين القرن 3هـ 4هـ ، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة ، العدد 8، 2018 ، ص 551
- 5 - نفس المرجع ، ص 542

- 6 - نفس المرجع ، ص ص 558-559
- 7 - اتخذ الأمويون المذهب المالكي كمذهب رسمي للدولة وعملوا على نشره في ربوع دولتهم
- 8 - عبد القادر رباح ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 558-557
- 9 - نفس المرجع ، ص 551
- 10 - عبد القادر رباح ، مرجع سبق ذكره ، ص 556
- 11 - آنخل جنثالث بالثيا، عن تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس ، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، ط 2، 2008.
- ص ص 192-196
- 12 - عبد القادر رباح ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 555-556
- 13 - نفس المرجع ، ص 556
- 14 - أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوزان ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 105-106
- 15 - علي زيان ، المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري . قسنطينة ، قسم التاريخ والآثار ، 2010 ، ص 36
- 16 - عبدالكريم السمك ، مدارس التاريخ الأندلسي وعصورها، موقع ألوكة الإلكتروني تم استرجاعه في 2019/12/19 على الرابط (<https://www.alukah.net/culture/0/68508>)
- 17 - راغب السرجاني ، الأعلام ، أبو بكر ابن القوطية ، موقع قصة الإسلام الإلكتروني تم استرجاعه في 2019/12/19 على الرابط (<https://islamstory.com/ar/artical/3408134>)
- 18 - متحف يقع على بعد حوالي 45 كم شمال غرب العاصمة الإسبانية مدريد. بني من طرف فيليب الثاني ملك إسبانيا، ويعتد من أهم منجزاته الحضارية. أستوحى بناء الإسكوريال من هيكل سليمان
- 19- عبدالكريم السمك ، المرجع السابق .
- 20 - علي زيان ، مرجع سبق ذكره ، ص 38
- 21 - أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوزان ، مرجع سبق ذكره ، ص 161
- 22 - لهروشيش هي الترجمة العربية لكتاب (Historia Adversus Paganos) للمؤرخ اللاتيني بول أوريوسو (Paulo Orosio) عاش خلال الفترة ما بين (375م-420م) ألف كتابه سابق الذكر سنة 416 للتوسع حول هذا المؤرخ ومكانته أنظر : أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد السيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ، 1955
- 23 - عبد القادر رباح ، مرجع بق ذكره ، ص ص 549-550
- 24 - علي زيان ، مرجع سبق ذكره ، ص 38

- 25 - أزيدور الإشبيلي توفي سنة 636م للتوسع حول هذا المؤرخ أنظر : ابن أنس العذري أحمد بن عمر ، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهواني ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، 1965، ص40
- 26 - علي زيان ، مرجع سبق ذكره ، ص24
- 27 - نفس المرجع ، ص45
- 28 - هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي ولد سنة (384 هـ / 994م) بقرطبة وتوفي سنة (456 هـ 1064م)،
- 29 - علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أبو محمد ، رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 1987، ج4، صص 71-72
- 30 - دخل المذهب الظاهري الأندلس في منتصف القرن الثالث الهجري /التاسع على يد عبد الله بن محمد بن القاسم بن هلال (ت272هـ/886 م) إلا أن انتشاره بقي محدودا في الأندلس وبحلول القرن 5هـ/11م عرف هذا المذهب انتعاشا واشتهارا على يد الحافظ غبن حزم الذي عمل على تجديده وتحويله من البيان إلى البرهان لمواجهة حالة الانحلال والتصارع التي كانت تعيشها الأندلس وأثر المذهب الظاهري في كتابات ابن حزم التاريخية ذلك أن التاريخ كان يشكل إطار معرفيا لخدمة المشروع الحزمي
- 31 - علي زيان مرجع سبق ذكره ، ص56
- 32 - عبد الباقي السيد ، ابن حزم أسبق من ابن خلدون في تأسيس فلسفة التاريخ ، موقع المنتدى الرسمي للدكتور عبد الباقي السيد عبد الهادي تم استرجاعه في 2019/12/19. على الرابط (<https://alhadyalzahry.yoo7.com/t368->) (topic)
- 33 - للتوسع أكثر أنظر: عبد الرحمان إبن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق عادل بن سعد ، الشيخ ، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2016، ص ص89-97
- 34 - ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد ، المقدمة ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، دار يعرب دمشق ، 2004، ص ص7-8
- 35 - للتوسع حول هذه الفكرة أنظر :محمود إسماعيل ، موقع المعرفة الأندلسية تم استرجاعه في 2019/12/19. على الرابط: (<http://www.andalusite.ma>)

قائمة المراجع والمصادر

المؤلفات

- أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987، ج4، صص 71-72
- آنخل جنثالث بالثيا، عن تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، ط 2، 2008
- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق عادل بن سعد، الشيخ، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016
- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق، 2004
- بن أنس العذري أحمد بن عمر، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965
- أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955

المقالات

- ربوح عبد القادر، مساهمة المدرسة الأندلسية في الكتابة التاريخية، ما بين القرن 3هـ و4هـ، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد 8، 2018

الرسائل العلمية :

- زيان علي، المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري. قسنطينة، قسم التاريخ والآثار، 2010
- الوزان أحمد بن عبد الرحمن، التدوين التاريخي في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي، قسم التاريخ والحضارة (1425هـ / 1426هـ)

مواقع الأنترنت

- السمك عبد الكريم، مدارس التاريخ الأندلسي وعصورها، موقع ألوكه الإلكتروني تم استرجاعه في 2019/12/19 على الرابط (<https://www.alukah.net>)
- راغب السرجاني، الأعلام، أبو بكر ابن القوطية، موقع قصة الإسلام الإلكتروني تم استرجاعه في 2019/12/19 على الرابط (<https://islamstory.com>)
- عبد الباقي السيد، ابن حزم أسبق من ابن خلدون في تأسيس فلسفة التاريخ، موقع المنتدى الرسمي للدكتور عبد الباقي السيد عبد الهادي تم استرجاعه في 2019/12/19 على الرابط (<https://alhadyalzahry.yoo7.com/t368-topic>)

- محمود إسماعيل ، موقع المعرفة الأندلسية تم استرجاعه في 2019/12/19 على الرابط:
(<http://www.andalusite.ma>)